أباطيل المفسرين حول ثعلبة رضي الله عنه

بقلم: أبو الهيثم صقر جندية

هذه قصة مشهورة رأيت التنبيه عليها لشيوع أمرها على ألسنة كثير من خطباء المساجد فى مصر ... ألا وهى قصة ثعلبة بن حاطب الأنصارى فيما زعموا .. والتى يذكرها المفسرون عند تفسير قوله تعالى « ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين » . الآية ٧٥ الى الآية ٧٨ من سورة التوبة (١) .

---

(١) يشير الكاتب الى ما ذكـره بعض المفسرين أن سبب نزول هذه الآية الكريمة ما حدث مع ثعلبة بن حاطب الانصارى حيث قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : ادع الله أن يرزقنى مالا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ويحك يا ثعلبة . قليل تؤدى شكره خير من كثير لا تطيقه » ثم قال ثعلبة مرة أخرى فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم « أما ترضى أن تكون مثل نبى الله ؟ فوالذى نفسى بيده لو شئت أن تسير الجبال معى ذهبا وفضة لسارت » قال : والذى بعثك بالحق لئن دعوت الله فرزقنى مالا لأعطين كل ذى حق حقــه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اللهم ارزق ثعلبة مالا » فاتخذ غنما فنمت كما ينمى الدود ، فضاقت عليه المدينة ، فتنحى عنها ، فنزل واديا من أوديتها حتى جعل يصلى الظهر والعصر فى جماعة ويترك ما سواهما ، ثم نمت وكثرت ، فتنحى حتى تـرك الصلوات الا الجمعة ، وهى تنمى كما ينمى الدود حتى ترك الجمعة . فطفق يتلقى الركبان يوم الجمعة ليسألهم عن الأخبار . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما فعل ثعلبة ؟ » فقالوا يا رسول الله اتخذ غنما فضاقت عليه المدينة .. فأخبروه بأمره . فقال « يا ويح ثعلبة يا ويح ثعلبة يا ويح ثعلبة » وأنزل الله عز وجل « خذ من أموالهم صدقة » الآيــة ، ونزلت فرائض الصدقة ، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلين على الصدقة من المسلمين ، وكتب لهما كيف يأخذان الصدقة من المسلمين ، وقال لهما « مرا بثعلبة وبفلان ــ رجل من بنى سليم ــ فخذا صدقاتهما » فخرجا حتى أتيا ثعلبة ، فسألاه الصدقة ، وأقرآه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : ما هــذه الا جزية ، ما هذه الا أخت الجزية ،

هذا الحديث احتج به الغزالى وقال الحافظ العراقى فى تخريج الاحياء (٣ / ٣٣٨) سندها ضعيف . وسكت عنه ابن الجوزى وتعقبه محقق كتابه تلبيس ابليس بأن فيه على بن يزيد الالهانى . وسيأتى الكلام عنه .

كما رواه الطبرانى ، والبيهقى فى (الدلائل) ، والشعبى ، وابن أبى حاتم ، والطبرى ، وابن مردويه . كلهم من طريق على بن يزيد الالهانى عن القاسم بن عبد الرحمن بن أبى أمامة .

وذكرها ابن حـزم فى المحلى (١١ / ٢٠٨) من نفس الطريق المذكورة وقال : هـذا باطل بلا شك ... الخ كلامه . الى أن قال : فسقط هذا الأثر وفى رواته معان بن رفاعة ، والقاسم بن عبد الرحمن ، وعلى بن يزيد وهو أبو عبد الملك الالهانى ، وكلهم ضعفاء ، ومسكين ابن بكير ليس بالقوى .

قال الحافظ ابن حجر فى تخريج أحاديث الكشاف : اسناده ضعيف

ما أدرى ما هذا ! انطلقا حتى تفرغا ثم عودا الى . فانطلقا وسمع بهما السلمى ، فنظر الى خيار أسنان ابله ، فعزلها للصدقة ، ثم استقبلهما بها . فلما رأوها قالوا : ما يجب عليك هذا ، وما نريد أن نأخذ هذا منك . فقال : بلى فخذوها فان نفسى بذلك طيبة . فأخذاها منه ومرا على الناس فأخذا الصدقات ، ثم رجعا الى ثعلبة فقال : أرونى كتابكما . فقرأه فقال : ما هذه الا جزية ما هـذه الا اخت الجزية ! انطلقا حتى أرى رأيى . فانطلقا حتى أتيا النبى صلى الله عليه وسلم . فلما رآهما قال : « يا ويح ثعلبة » قبل أن يكلمهما ، ودعـا للسلمى بالبركة . فأخبراه بالذى صنع ثعلبة والذى صنع السلمى فأنزل الله عز وجل « ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ... » الآيات . وبعد نزول الآيات علم ثعلبة فجاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم نادما تائبا يقدم الصدقة فلم يقبلها . فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم عرض الصدقة على أبى بكر فلم يقبلها ثم عرضها على عمر فلم يقبلها حتى هلك ثعلبة فى زمن عثمان (وقد ذكرنا هذه القصة ليحذر الدعاة من سردها فهى قصة باطلة) .

جدا ، وقال ان عليا بن يزيد واه • وقال فى الفتح (٣/ ٨) بعـــد ذكر هذه القصة : لكنه حديث ضعيف لا يحتج به •

قال الهيثمى فى المجمع (٧ / ٣١) : وفيه على بن يزيد الالهانى وهـــو متروك •

ونقل الشيخ مقبل أبو عبد الرحمن فى (الصحيح المسند) قول السيوطى فى (لباب النقول) أن سندها ضعيف ، كما نقل قول المناوى فى فيض القدير (٤ / ٥٢٧) قال البيهقى فى اسناد هـــذا الحديث نظر • وقال هو مشهور بين أهل التفسير •

وأشار فى (الاصابة) الى عدم صحة هذا الحديث • فقد ساق هذا الحديث فى ترجمة ثعلبة هذا ثم قال : وفى كون صاحب هـــذه القصة ــ ان صح الخبر ولا أظنه يصح ــ هو البدرى (١) نظر • ا هـ

وقال أبو عبد الرحمن فى (الصحيح المسند) : ان هذه الحكاية مما وقع التساهل فيه فى النقل مما لم يثبت • كما أشار الى أنها مع عدم صحتها سندا فهى لا تصح معنى اذ فيها مخالفة لأصل من أصول الشريعة وهو أن التائب لو بلغت ذنوبه عنان السماء ثم تاب تاب الله عليه •

أقول : وهذه نقطة مهمة يغفل عنها من ينقلون هذه الرواية ، فانها لا يجوز الاحتجاج بها فى مقام الوعظ والترهيب ، لأنها توحى بعـــدم قبول التوبة ، وتقود الى اليأس والقنوط طالما أنه لا مغفرة ولا قبول لتوبة التائب ••• وهو مما يخالف الشريعة •••

وبالله التوفيق •

أبو الهيثم صقر جندية

---

(١) بدرى يعنى من أهل بدر حيث قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر رضى الله عنه « ومـــا يدريك لعل آلله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ماشئتم فقد غفرت لكم» وثعلبة هذا ممن شهدوا بدرا .